المحاضرة الثالثة بعنوان :
"خصائص اللسان البشري، اللسانيات والتواصل اللغوي ووظائف اللغة"

توطئة: يرى كثير من الباحثين في تاريخ الأفكار اللسانية أنّ الذي أخر ميلاد اللسانيات، هي البداية الخاطئة التي عملت على التكريس الفلسفي للعلاقة بين (**اللغة والفكر**) وترتيب كلّ النظم المعرفية على هذا الأساس، حيث أفرز ذلك تدفق دراسات وبناء نظريات كثيرة ومتعدّدة بحسب وجهات النظر الفلسفية واختلاف العلوم، ويمكن تلخيص جميع ما طرح في هذا السياق في عبارة **فريدريك هيجل** "**إنّنا نفكر داخل الكلمات**" حيث إنّ القاسم المشترك بينها جميعًا هو التباعد عن التفكير في إمكانات تطبيق المناهج العلمية على موضوع اللغة، وفي الحقيقة لقد ارتبط البحث عن هذا الموضوع من خلال الوظيفة الابلاغية أو الهدف الأساس الذي تستعمل من أجله اللغة بسوسير.

ولكن البحث الدقيق عن هذا الموضوع سيعود بنا إلى عالم السنسكريتيات الأمريكية "**ويليام داونت وايتني**/*William Dwight Whitney*" (*1827/ 1894*م)،الذي عبّر مبكرًا أنّ "**..غاية اللسانيات هي فهم اللسان في مجمله كأداة للتعبير عن الأفكار البشرية وفهم التفرعات الناجمة عنه..**"[1] وعالم الفنولوجيات السلافي "**بودوان دي كورتناي**/ "*Jan Niecisław Ignacy Baudouin de Courtenay* (*1845/1929*م)؛ الذي أكّد بدوره عن ضرورة ربط اللسانيات بالتواصل، لكن هذه الآراء كانت في سياقات مختلفة على نحو الملاحظات والإشارات الأولية، ولكن الذي منح هذه الفكرة بعدًا علميًا عميقًا وبنى مجمل أفكاره ونظرياته حول اللغة الذي هو موضوع اللغة، هو اللساني السويسري من الأصول الفرنسية "**فرديناند موجان دي سوسير** "*Ferdinand de Saussure*" (*1913/1957*م)، وبالتالي فإنّ التفريق العلمي المنهجي الصارم بين (**اللغة واللسان**) مكّن العلم من أنسقة موضوع اللسان من خلال البحث عن خصائصه وعناصره والنظر إليه على أنه مجموعة من العلاقات الشكلية الصورية التي تنتظم جميعا لتحقيق التواصل، **فما هي هذه الخصائص والعناصر؟**.

---

[1]- وقد جاء في النص الأصلي على النحو الآتي: ".. *Cette science a pour objet de comprendre le langage d'abord dans son ensemble, comme ..moyen d'expression de la pensée humaine, ensuite dans ses variétés*" مأخوذ عن الموقع الآتي: *https://fr.wikipedia.org/wiki/William_Dwight_Whitney*

يمتاز اللسان بجملة من الخصائص التي مكّنته من أداء وظيفته على نحو دقيق ومنظم، ومن بين هذه الخصائص ما يلي:

1/أ)- الإبداعية في اللسان: من أهم خصائص اللسان هو مبدأ الإبداعية، وهو أهم مبادئه جميعًا بحيث يرى الفلاسفة وعلماء اللغة وعلماء النفس والاجتماع أنّ اللغة هي إعادة إنتاج أو تشكيل الكون بنوعيه (الداخلي النفسي الفكري/ والخارجي الاجتماعي والمادي الشاسع)، وبثّها في كلمات وعبارات قليلة، بحيث إذا عدنا إلى تعريف أندري مارتنييه (*Martinet, André*) فقد حدّد اللسان على النحو الآتي: ".. **أداة تواصل وتبليغ يتم من خلالها تحليل الخبرة الإنسانية إلى وحدات محدّدة، تختلف من مجتمع إلى آخر، هذه الوحدات ذات تعبير صوتي ومضمون دلالي؛ تسمى الوحدات الدالة (المونيمات/** *Les monèmes*) **وينقسم التعبير الصوتي بدوره إلى وحدات تمييزية متتابعة تسمى الوحدات الصوتية (فونيمات/** *Les phonèmes*) **وعدد هذه الوحدات الصوتية محدّدة في كلّ لغة وهي تختلف من حيث النوعُ والعلاقات المتبادلة من لغة إلى أخرى..**"[1] فتحليل هذه الخبرة تجعل مستعمل اللغة يعتمد العبارات نفسها مع تغيرات بسيطة يولّد ما طائل إلى حصره من الأفكار والحاجيات النفسية والاجتماعية.

1/ب)- الوظيفة في اللسان: وبهذا يكون اللسان مطالبًا بتحديد وظيفته ليكون عند اللسانيين المعيار الذي يمكّنهم من تحليل النظام اللغوي ووصفه، وهذا يعني أنّ تقطيع اللغة إلى وحدات أولية (**فونيمات /مونيمات**) يجب أن يكون بهدف تحديد وظيفة كلّ واحد منها، وهذا يدلّ على أنّ الوحدات اللغوية لا معنى لها بانفصال بعضها عن بعض؛ لأنّها تسهم في أداء وظيفتها التواصلية مجتمعة، وبالتالي فإنّ وظيفة اللسان هو التواصل والإبلاغ، وعلى هذا النحو يجب أن يكون لكلّ الوحدات والبنيات المشكلة للنظام العام للسان وظائف.

1/ج)- التقطيع المزدوج في اللسان (*le double articulation*): الذي يميّز اللسان البشري والذي يشترك فيه جميع الألسن الطبيعية، حيث إنّ جميع الألسن تخضع لهذا الناموس، دون اللغات الاصطناعية أو اللغات التي تستعملها الحيوانات للمطالبة بإشباع غرائزها المختلفة، والذي جعلها تامة على مستويين، وهما (**التقطيع الأوّلي للغة/ والتقطيع الثاني لها**) بناءً على مقابلتها على محوري (**التراكيب والاستبدالات**)؛ ولا يستقيم أبدًا النظر إلى التمفصلات اللغوية (***le double articulation***) بمعزل عن هذه المحاور، وهما على النحو الآتي:

---

1)- André martinet, **Éléments de linguistique générale**. Armand colin, p21-22

1-ج/أ- التقطيع الأوّلي للسان: وهو التمفصل الذي يقوم بتجزئة الخبرة الإنسانية والتجربة الشعورية إلى سلسلة من الوحدات، يكون لكلّ واحدة منها دلالة وصيغة صوتية، فإذا كنت أحب أن أعبر عن إعجابي بالطبيعة مثلا، فإنّه بإمكاني أن أعلن عن ذلك بالابتسامة والتأمل فضلا عن بعض الإشارات السيميائية الأخرى، لكن هذه الابتسامة وهذا التأمل قد يكونان منعكسا شرطيا غريزيا فطريا وآليا دون وعي أو تحكم،[1] وفي هذه الحالة لا يمكن لذلك أن يصنف ضمن الأنظمة اللغوية التواصلية، أو أن يكون تعبيرا إراديا تهتم به بعض العلوم الأخرى كعلم النفس بأنواعها وفروعها، ولكن اللسانيات لا تأخذ به على أنّه حدث لغوي (***Un fait linguistique***) ولكن إذا كان مقصودًا بوجه من الأوجه وننوي رميه للعالم الخارجي وتنبيهه معبرين عن مدى إعجابنا بالطبيعة، فإنّه مع ذلك لا يكفي لأن يكون إعلاما لغويا.

إنّ كلّ ابتسامة غير قابلة للتقطيع لا يمكن بأي وجه ضمها إلى صف الأحداث اللغوية الأمر الذي يختلف تماما عندما أنطق بالجملة (أحب الطبيعة)، فهذه الجملة حينئذ تعدّ حدثا لغويا قابلا للتقطيع المزدوج؛ لأنها تتألف من أربعة وحدات (**أحب**+ **أنا**+ **الـ**+ **طبيعة**) مع العلم بأنّه لا يمكن لأي وحدة من هذه الوحدات أن تعبّر بمفردها على حي للطبيعة.

كما أنّها تتوفر على قابلية لاستعمالها في سياقات أخرى تعبّر عن حاجيات نفسية وشعورية أخرى، فكلمة (**أحب**) يمكن أن تظهر فيما لا طائل إلى حصره من التراكيب (**أحب الصحراء الجبال، الأطفال، العلم...الخ**)، وهذه الإمكانية في تغير السياقات والتكيف مع المعاني الأخرى يظهر جليا أهميته في الاقتصاد اللغوي الذي يحقّقه التقطيع الأوّل، ولو لم يكن ذلك كذلك لكان على الإنسان استعمال ما لا طائل إلى عدّه من الأصوات والكلمات للتعبير عن مناسبة نفسية واحدة وهو الأمر المستحيل، لكن بهذه الخاصية –من جهة أخرى– فإنّ اللغة تبين طبيعتها الإبداعية وعبقريتها الفريدة في إعادة إنتاج الكون (**الداخلي والخارجي**) الذي يعيش فيه الإنسان.

إنّ لكلّ وحدة من الوحدات السابقة التي رأينا عدم كفاءتها في حمل المعنى العام بانفراد فإنّ جزء كلّ واحدة منها لا يمكن بأي حال أن يعبر عن جزء معناها، الأمر الذي يختلف مع الهيأة الصوتية التي يمكن لها ذلك، وفي هذه الحالة يتحقق ما سمّاه أندري مارتنيه **التقطيع الثاني**؛ الذي يجزّأ الجملة السابقة إلى أصواتها الدنيا، وهي: (أ+ ح+ **ب**/أ+ **ل**/ **ط**+**ب**+**ي**+ع+ **ة**) ممّا جعلنا نتحصل على عشرة وحدات صوتية لا معنى لأيّ واحدة منها على

[1]- جيلي محمد الزين، **الوصفية العربية**. بتصرف

انفراد وهذا ما أسماه كل من سوسير ومارتنيه (*A. Martinet*) بالشكل الصوتي بمعنى أنها لا تدلّ على أي معنى مستقلة عن الأخرى ولكن باتحادها مع بقية الأصوات تشكل معا صورة صوتية وهي في الحقيقة ما يؤثر على نفسية المخاطَب وليس الأصوات المفردة وفي هذا السياق يعلّق بارتشت قائلا **"..ليس الصوت الفعلي الذي هو ليس إلاّ شيئًا فيزيائيا، بل إنّ الانطباع النفسي لهذا الصوت، قد جعل ذلك على أساس أوجه إدراكنا الحسي حاضرًا، فهو حسي، حين نطلق عليه أحيانًا صفة مادي فإنّه يقصر بذلك أيضا ما هو حسّي، وذلك على النقيض من العنصر الآخر لربط التداعي، أي التصوّر الذي هو أكثر تجريدًا.."**[1].

1/د)- اللسان ليس هو اللغة ولا الكلام: إنّ أعظم تمييز في تاريخ اللسانيات خرجت به السوسيرية هو التفريق بين (اللغة/ واللسان) واعتماد هذا الأخير في التحليل اللساني، بناءً على اعتباره ممارسة اجتماعية للغة، وقد جاء هذا التأكيد واضحا في المحاضرات التي نشرت سنة **1916م**، حيث يقول سوسير: ".. ينبغي ألا يتم الخلط بين اللغة واللسان فما اللغة إلا جزء محدد منه، بل عنصر أساس، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة، وإذا نظرنا إلى اللسان ككل، فإننا نجده متعدد الجوانب ومتغاير الخواص، لأنه يمتد في غير انسياق إلى أصعدة مختلفة في آن واحد، منها الفيزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية فإنه ينتمي في الوقت نفسه إلى الفرد وإلى المجتمع؛ لأنه ليس بإمكاننا اكتشاف وحدته، فلا نستطيع إذن تصنيفه في أية فئة من الوقائع البشرية.."[2] ومن هذا التأكيد يظهر معه أنّ اللغة هي الجزء الأكبر في ملكتنا اللغوية كبشر، بينما اللسان هو جزء منها وجزؤها الأساس الذي يعتمد على النواميس الاجتماعية في تجسيدها، كما أنّها تفارق اللسان في تعدّد جوانبه وتغير خواصه وامتداده في شكل غير منظم ووفق قواعد محدّدة على النحو الذي نجده في تغير النظام الصوتي والنحوي وغيرها من المستويات وعندما نفصل اللسان عن الكلام فإنّه يفصل بين "..ما هو اجتماعي عمّا هو فردي وما هو جوهري عما هو إضافي، وما هو عارض بدرجة أكثر أو أقل.."[3] ولربط اللغة نقترح التمثيل الآتي:[4]

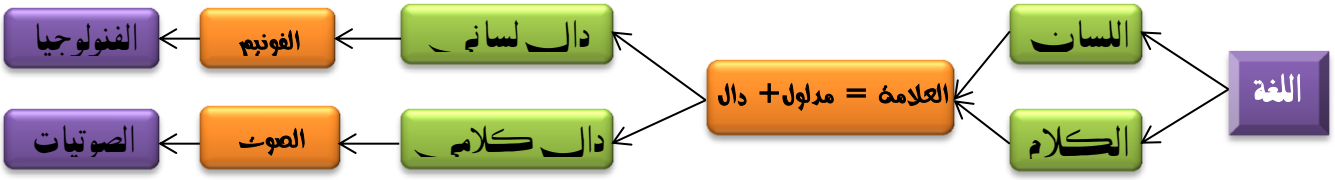

[1]- بريجتيه بارتشيه، **مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي**، تر: سعيد حسين بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،2004م. ص102

[2]- أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطوّر**، ص

[3]- بريجتيه بارتشيه، **مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي. ص**96

[4]- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية؛ منهجيات واتجاهات**. ص238

1/هـ)- اللسان نظام قائم بذاته: يتكون اللسان من جملة من البنيات والمستويات الداخلية الصورية (الشكلية) كالصوتية والمعجمية والدلالية والتركيبية النحوية والصرفية وأخيرًا الأسلوبية أو البلاغية، وفي كل واحد من هذه المستويات علاقات داخلية عديدة، تشتغل جميعا في الوقت نفسه بآلية متسقة ومنسجمة مشكلة في الأخير نظامًا قائمًا بذاته منفصل تماما عن التاريخ، وما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق هو انّ سوسير لم يستعمل مصطلح البنية (***La structure***) للدلالة على النظام، فقد ذكر مصطفى غلفان نصا –ننقله كاملة على أهميته– ليحدّد مفهوم البنية حيث قال فيه **".. ليس مفهوم البنية الذي تقوم عليه اللسانيات البنوية بجديد في الفكر الإنساني الحديث، ففي الدراسات اللغوية وحدها انتبه إليها لغويو القرنين الثامن والتاسع عشر، لاسيما همبولدت (Wilhelm von Humboldt/1835-1767) والمتأثرون بالعلوم الطبيعية أمثال، شليغل وشلايشر وفرانس بوب، فقد تحدّث الأوّل مثلا عن البنية النحوية مراث عديدة، واستعمل شلايشر عبارة البنية اللغوية (La structure linguistique) ومع مطلع القرن العشرين استعمل فندريس عبارة البنية النحوية استعمالا غير تقني في مراث عديدة من كتابه "اللغة" وكذلك فعل أنطوان مييي وموريس غرامون... لكن سوسير يعدّ من أبرز الذين أكدّوا على فكرة البنية أو النسق (Système) كما كان يسميه هو، ولكمن أهمية سوسير في كونه بحث في البنية بشكل واع تماماً وجعل منها مفهومًا نظريًا له أبعاد منهجية فسّر على ضوئها كثيرًا من قضايا اللغة.."**[1] ونحن نعتقد بأنّ سوسير قد ترك مفهوم البنية الذي كان يعرفه المجتمع الأكاديمي جيدًا سواء أكان في العلوم الإنسانية أم في باقي العلوم التجريبية الأخرى، لاحترازه الشديد على عدم حمل كلامه على المفاهيم التقليدية لهذا المصطلح ومن جهة أخرى نؤكد بأنّ الذين جاؤوا من بعده هم من أطلق مصطلح البنية على النظام وليس سوسير، وبالتالي فإنّ مفهوم النظام بمعمول هذا التمييز هو كما قال جون ليونز **"..البنية نسق من العلاقات أو مجموعة من الأنساق يرتبط بعضها ببعض، وحيث إنّ العناصر من أصوات وكلمات، وليس لها أي قيمة باستقلالها عن علاقات التآلف والتقابل التي تربط بعضها ببعض.."**[2] وبالتالي فإنّ اللسان يكتسب هذا النظام من هذه العلاقات الشكلية التي تربط بين هذه البنيات وهذا يذكرنا بقول سوسير **"..اللسان شكل وليس مادة.."**[3] وبالنظر إلى النظام من خلال هذه الزاوية هو ما يمنح للبنيات قيمة لها ليس في جوهرها وإنّما

---

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية: منهجيات واتجاهات**. ص *178–179* بتصرّف

[2]- المرجع السابق، ص *179*

[3]- ***La langue est une forme pas une substance, voire; Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale***, Publié par Albert Séchhaye avec la collaboration de Albert Riedlinger, édition critique préparée par Tullio de Mauro, postface et traduction de Jean louis Calvet, Edition Payot, 1967, p157

تكتسب ذلك من خلال العلاقات التي تدخل فيها والقواعد التي تستجيب لها، ومن ذلك يمكن مباشرة التحليل اللساني تحليلا علميا معقولا.

1/و)- الدليل اللغوي، le signe linguistique: وهو مفهوم آخر من المفاهيم الهامة التي بنيت عليها اللسانيات العامة مجمل مبادئها التحليلية، والتي تعني **"..إفادة مدلول ما بواسطة دال يكون إمّا خطيًا أو سمعيًا أو بصريًا، مثل الرمز أو الإشارة؛ ويعدّ الدليل مساويًا للإمارة، ويمكن للدليل أن يوازي الغمارة وبهذا فهما يشكلان جزءًا من مقولة المؤشرات، يمكن للدليل أن يساوي الرمز ويكون له صورة.. وحسب اصطلاح سوسير ينتج الدليل اللغوي عن تجميع الدال والمدلول أو أيضا عن تجميع صورة سمعية ومفهوم ما.."**[1] ومن خلال هذا يتضح بأنّ الدليل اللغوي سمة لا توجد إلاّ في اللسان البشري، بخلاف جميع الأنظمة التواصلية الأخرى، سواء أكانت الإنسانية أو الحيوانية، وهو ينقسم إلى دال ومدلول، فأمّا الدال (*Signifiant*) فإنّه لا يشمل الأصوات اللغوية (*les phonèmes*) وإنّما من الصور الصوتية (*Image acoustique*) والتي تمتاز بالخطية (*Linéarité*) بمعنى ترتيب أصوات الدال زمانيا ونطقا في مدرج الكلام بحيث يستحيل النطق بصوتين في الوقت نفسه على أقل تقدير وفي ذلك يعلق سرفاتي وبافو بقولهما :"..فمنجهة، تعقد الكلمات في الخطاب صلات بينها بحكم تسلسلها، تقوم على الطبيعة الخطية للغة التي تقضي بعدم إمكانية التلفظ بعنصرين في الوقت نفسه .. ويمكن تسمية هذه التأليفات المحمولة على المدى: المركبات (*Les syntagmes*).."[2]، والمدلول (*Signifié*) الذي لا يشكل مفهوما (*Concept*) وإنّما صورًا مفهومية (*Image conceptuelle*)، ويمكن إضافة المرجع (*Referent*) إلى هذه الثنائية، وهو الأصل الذي يحيل عليه الدال، وبه يُدرك المدلول، وهذا الأصل إمّا يكون موجودًا في عالم **الأعيان** على نحو **[شجرة ورجل وفرس وجبل وشمس ...الخ]**، وهو يمثل العالم المادي العيني، أو موجودًا في **الأذهان** كما هو الحال في المفاهيم المجردة التي لا تدركها الأعيان على نحو ما نجده في استعمالنا باللسان على مفاهيم **[الحب والكراهية والحرية والتفكير والإرادة والتأمل ...الخ]**، أو الموجودات **وجودا لسانيا** كقولنا **[لسان كلام لغة اسم وفعل وحرف ومبتدأ ومرفوع ...الخ]**، وما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضع هو أنّ العلاقة التي تجمع

---

1)- جماعة من المؤلفين، **المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات**، ط2، المغرب، مطبعة النجاح 2002م. ص136

2)- ماري لآن بانو وجورج إليا سرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى التراثية**، تر: محمد الراضي. ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2012م. ص134

بين الدال والمدلول، هي **علاقة اعتباطية** (*Arbitraire*)وهي **".. خاصية العلاقة بين الدال والمدلول وهي ناتجة عن تواضع ضمني بين أفراد الجماعة اللغوية.."**[1] فالعلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة **اعتباطية أي غير مبرّرة** فلا شيء في الدال يلزم المدلول، ومن جهة أخرى فإنّ علاقة الدال بالمرجع هي علاقة **عرفية تواضعية** ناتجة عن تواطؤ عند مستعملي اللغة، وأمّا العلاقة بين المرجع والدلول هي علاقة **لازمة مطردة** أي كلّما أحيل على مدلول ما فإنّه يطفو إلى الذهن المرجع والدلالة التي يقوم عليها.

1/ز)- التحوّل اللغوي، le changement linguistique: تأخذ العلامة اللغوية وضعيتين هما على طرفي نقيض، أحدهما الثبوت والأخرى بالتغيير أو التحوّل، وتفصيلها على النحو الآتي:

ز/أ- الحالة الثابتة: إن وصف العلامة اللغوية بالتغير والثبوت في آن واحد من لدن سوسير قد يبدو أمرا متناقضا ولكنه بمقابلة هذه النقيضين أراد أن يؤكد على أن اللغة تتغير على الرغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغييرها، وعادة ما تميل العلامات نحو الثبوت لوجود عوامل قوية تمنع هذا التغيير، يقول وترمان: "**الثروة المفرداتية الكبيرة والبنية اللغوية المعقدة والجمود الذي يعي اللغة، بالاضافة إلى كون اللغة ملك للجميع، وأن جذورها ضاربة في أعماق التاريخ ونحن ورثناها عن الأجداد، وما علينا إلا نقبلها كما هي**"[2]، ومن جهة أخرى فإن أكثر الأنظمة صعوبة للتغيير وأشدها استقرارا هي الأنظمة النحوية نظرًا للعلاقات المعقدة التي تربط بين المركبات الكلامية من قوانين الكلمة والجملة.

1/ز/ب- الحالة المتحولة: تتغير اللغة بشكل تدريجي عبر الزمن، ويمس هذا التغيير خاصة أشكال المفردات ومعانيها ويقصد سوسير بالتغيرات الصوتية التي تصيب الدال أو تلك التغيرات في المعنى التي تصيب تصور المد لول.... فإنها تؤدي دائما إلى تبدل على مستوى العلاقة بين الدال والمدلول.

1/ح)- الطابع المميز: معنى التمييز هو أن لكل دليل لغوي أو حرف في اللغة دوره الخاص، فقد تكون العلاقة بين الحرفين (ج) و (ص) علاقة مميزة، لأن استبدال حرف (ج) بالحرف (ص) يؤدي إلى اختلاف الهيئة والمعنى في الفرق بين (جال/صال)، فهي إذا خاصية تمنح الوحدات اللغوية (**فونيمات ومورفيمات**)[3]. تمايزًا

---

(1)- جماعة من المؤلفين، **المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات** ، ص16

(2)- أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطوّر**. ص

(3)- **مأخوذ عن الموقع الآتي:** https://elearn.univ-ouargla.dz/2013-2014/courses/FCN/document/.pdf?cid%Req=FCN

عن بعضها بعضا، وذلك من خلال العلاقات الخلافية أو التقابلية فاستطاع بذلك اللسانيون وعلى رأسهم سوسير من إقامة تقابل يظهر مميزات كل واحدة منها عن الأخرى، وبالتالي فإنّ الأصوات لن تكون متميزة إلاّ إذا ظهر اختلاف بينها وهذا الاختلاف يكون مستندا إلى مفهوم الملمح المميز، وقد عبّر روبن هنري روبنز قائلا **"..إنّه واحد من أكثر المفاهيم التحليلية أهمية وبقاءً في اللسانيات، كما أنّ نظرية الملامح المميزة لا تزال تبحث وتطور بشكل فعال، كما هو الحال في المدرسة التوليدية التحويلية.... وإذا كان هناك مفهوم ما يملك مفتاحا لفهم التحوّلات في النظرية اللسانية في القرن الحالي فهو هذا المفهوم.."**[1] وهذا التغير البسيط على مستوى صوت واحد المؤدي إلى تغيير الدلالة هي دلالة عن عبقرية اللغة في توليد الأدلة الجديدة من المواد اللغوية نفسها.

1/ط)- الانعكاسية والطواعية: يتمتع اللسان البشري فضلا عن أدائه لوظيفة التواصل والتبليغ من حيث هي وظيفته الأساسية ومختلف الوظائف الفرعية الأخرى خاصية فريدة في كلّ الأنظمة التواصلية المتعدّدة والمعقّدة في إمكانية لا للتعبير عن وتلبية مختلف الحاجات النفسية والاجتماعية، وإنّما في التعبير عن نفسها بنفسها فهي قادرة على تقديم مختلف الشروحات والتفاسير والتحليلات عن ذاتها، يقول مصطفى غلفان **"..حيث تتكلّم اللغة عن نفسها أو تصف نفسها بنفسها على النحو اللغة المستعملة من لدن النحاة العرب القدامى وغيرهم من العلماء في مجالات معرفية أخرى بعرف النحو العربي المبتدأ مثلا بأنّه اسم مرفوع يقع في أوّل الكلام.."**[2] وبالتالي فإنّ هذه اللغة هي لغة تقنية يتضمنها اللسان ولكن ليس بالطريقة التي نستعملها للدلالة على الممارسة الكلامية اليومية.

فمن خلال كل هذه الخصائص التي تم ذكرها والعديد غيرها كيف استطاع علماء اللسان أن يربطوا من خلالها اللسانيات بالتواصل واستنتجوا فيها وظائف اللغة؟

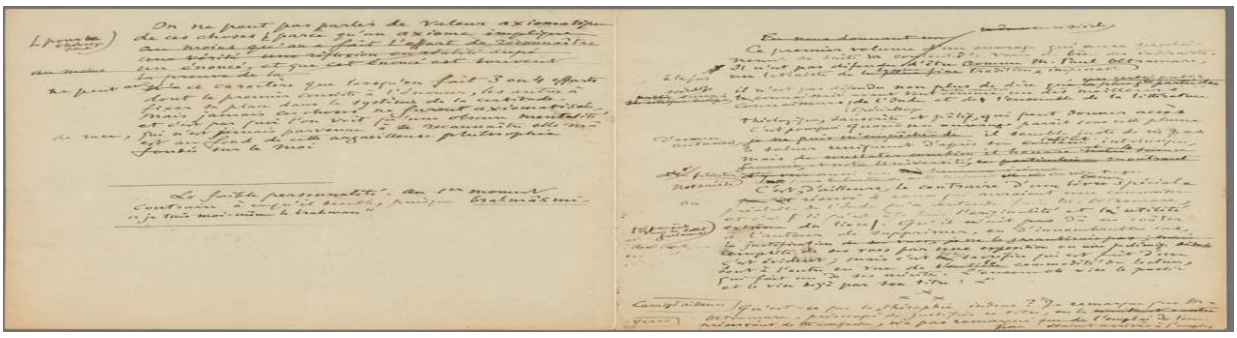

نص حول الدليل اللغوي بخط يد فردينان دي سوسير مباشرة.

1- روبن هنري روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، تر: أحمد عوض. ص360

2- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية؛ منهجيات واتجاهات**. ص232 بتصرف

ثانيًا. اللسانيات والتواصل اللغوي: ارتبطت اللسانيات بشكل كبير مع التواصل كوظيفة أساسية للسان، حتى أخذت اللسانيات صفة واضحة تتداول بشكل واسع تحت عنوان "**اللسانيات التواصلية**" ومازالت الأعمال تطوّر تحت هذه التسمية وتأخذ أبعادًا أعمق من ذي قبل، فالتواصل كفعل بشري ويمكن أن تشترك معه حيوانات أخر بأشكلها البدائية غير اللغوية المعروفة تحت تسمية "**الأنظمة التواصلية الحيوانية**" هي نقطة اشتراك علماء كثيرين من اختصاصات مختلفة كعلم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا والفقهاء وحتى بعض العلوم التقنية الأخرى، وقد علّق رومان ياكبسون على هذه المقولة قائلا **"..إنّي مقتنع أنّ المناهج المطوّرة حاليًا في اللسانيات وفي نظرية التواصل، والمطبّقة على تحليل البيت الشعري، وعلى عدد كبير من مجالات اللغة، سوف تفتح إمكانيات رحبة من أجل ربط لاحق بين مجهودات كلا الحقلين المعرفيين.."**[1] وقد تم تعريفه "**التواصل**" على نطاق واسع جدًّا بحسب الحقل المعرفي الذي طوّر فيه، ويمكن تلخيص مختلف التعريفات المقترحة في هذا الصدد بالمعادلة الآتية: **"..من (أ) إلى (ب) ترسل (ج) التي تتحدّث عن (د) وتخضع لقوانين (هـ)، وتنتقل من (أ) إلى (ب) عبر (و)، حيث إنّ (أ) هو المرسل، و(ب) هو المرسل إليه، و(ج) هي الرسالة، و(د) المرجع، و(هـ) السنن و(و) هي القناة."**[2] وبالتالي فإنّ مفهوم التواصل لا يبتعد كثيرا عن تحديداته اللغوية التي وردت على النحو الآتي **"..يرجع أصل كلمة التواصل (*Communication*)إلى الكلمة اللاتينية (*communes*) ومعناها (*common*) أي " مشترك " أو "عام" وبالتالي فإن الاتصال كعملية يتضمن المشاركة أو التفاهم حول شيء، فكرة، إحساس، اتجاه أو سلوك ما.."**[3] ومعنى ذلك أن كل عملية تواصلية لغوية يجب أن يتم فيها اشتراك وتعميم هذه العناصر الأساسية لها والمتمثلة في المرسل (**وهو العنصر الأساس**) والمرسل إليه والرسالة (**الغاية**) والمرجع (**اللسان**) والقناة ويأتي التفصيل على النحو الآتي:

2/أ)- التواصل اللغوي من المنظور اللساني عند سوسير: من المعلوم أنّ سوسير قد افتتح المحاضرات مباشرة بالحديث عن العناصر التي تؤلف اللسان كفعل يقوم أوّلا وقبل كلّ شيء على

---

[1]- رومان ياكبسون، **بحوث في اللسانيات العامة**. ج*1*، ص*93* مأخوذ عن الموقع الآتي: عمر أوكان، مقال "**اللسانيات والتواصل**" المنشور في؛ *http://www.aljabriabed.net/n36_08ucan.htm*

[2]- المرجع السابق، ص*1*

[3]- جماعة من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط*3*، مصر *1998*م. مادة [**و ص ل**]

شخصين على الأقلّ، وهما (**المرسل** و**المرسل إليه**)، وذليل ذلك أنه قال **"..إذا أردنا أن نفصل من مجموعة العناصر التي تؤلف اللسان، تلك التي تعود إلى اللغة وجب علينا أن نتفحص الفعل الفردي الذي يمكن أن يستخدم في إعادة بناء الدائرة الكلامية، فمثل هذا الفعل يحتاج إلى وجود شخصين في الأقل، وهذا أقل عدد يقتضيه اكتمال الدائرة.."**[1] وبالتالي فإنّ المتكلّم أو (**المرسل**) يقوم بتحويل المعاني والأفكار وكلّ المعاني التي يريد الإعلان عنها للعالم الخارجي المخزنة في دماغه ونفسيته إلى صور صوتية ثم يرسلها ويوجهها نحو المستمع (**المخاطب**) الذي يلتقط هذه الأصوات بحاسة الأذن ويعاود ترجمتها إلى صور مفهومية حتى يتم نجاح الدورة التواصلية ولتوضيح هذه الفكرة نقترح الرسم التمثيلي الآتي:

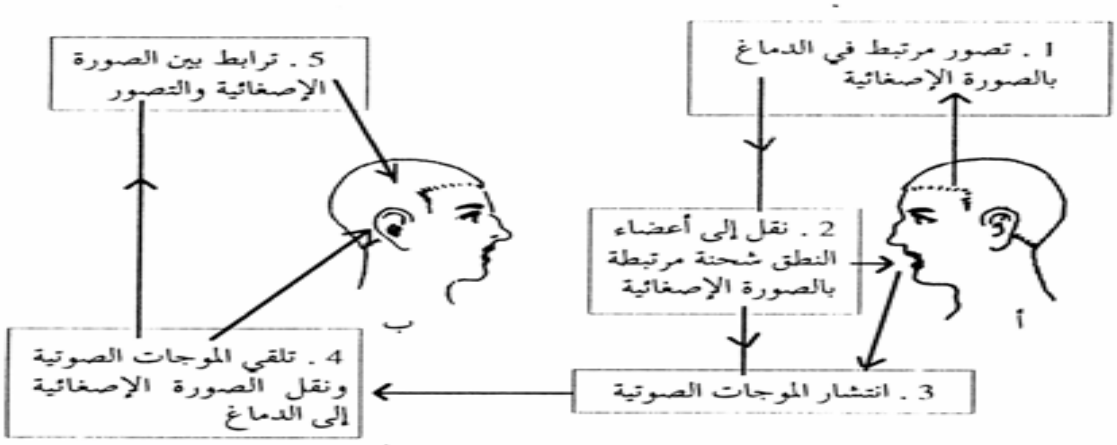

ونلاحظ بأنّ هذا الرسم يقترح شخصين سمى الأوّل الشخص (أ) والثاني بالشخص (**ب**) حيث إنّ الشخص (أ) يبادر في الكلام والتخاطب من خلال عملية ترجمة التصورات إلى صور إصغائية من باعتماد تشحين أعضاء النطق، ثم يأتي دور الموجات الصوتية التي تنتقل في الفضاء الفاصل بين الشخصين (أ/ب) هذا الأخير أي الشخص (ب) الذي يستقبل هذه الموجات ثم يربطها بالتصورات وإذا تمّ الأمر بهذه الصيغة تكون النتيجة هي نجاح الدورة التواصلية.

2/ب)- التواصل اللغوي من المنظور التداولي عند جون أوستين: يعرف جون اوسطين بشكل كبير في "نظرية أفعال الكلام" حيث تعدّ أعماله في هذا الشأن من أهم الأعمال التي حلّلت

[1]- فرديناند دي سوسير، **علم اللغة العام**، تر: يؤيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف المطلبي. ط*1*، دار آفاق عربية للنشر والتوزيع، د ت العراق ص*29*، وكذلك النص الأصلي: *Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale,27*

السلوك الكلامي وأفعال الكلام وأنواعها ومختلف مقولاتها وبشكل خاص في كتابيه الشهيرين (**عندما تقول تفعل**:*Quand dire est&c faire*) المنشور سنة ***1970م***، وكتاب (**اللغة الإدراك**/ ***langage de la perception***) المنشور سنة ***1971م***، حيث تحدّث في الكتابين بإسهاب عن دور اللغة في العملية التواصلية حتى أصبح مرجعًا من المراجع العلمية المؤصلة لهذا المبدأ، محافظًا على طرفي الدورة التواصلية، وهما (**المرسل والمرسل إليه**) رابطًا هذا الفعل والسلوك التواصلي البشري بثنائية (**القصدية والانجاز**)، حيث إنّ المتكلّم بالنسبة لوسطين هو الطرف الأكثر فاعلية في هذه الدورة، وذلك في أنّه يحوّل الصور المفاهيمية إلى صور صوتية مع القصد وبمجرّد أن يطلق هذه الصور الصوتية فإنّه في الوقت نفسه يطلق وعدًا بإنجاز قصده، يقول **"..وهكذا يصبح النطق بعبارة إنشائية محدّدة كالوعد إنجازًا لفعل سلوكي مشروط بالقصدية الذي يبثه فيه المتكلّم حتى يكون بإمكان المخاطب به قادرًا على الردّ عليه بضروب معينة من الرضا أو عدمه كما هو الشأن في باقي الأفعال السلوكية الأخرى الذي يقوم بها الناس.."**[1] وبالتالي فإنّ هذا التصور العام للدورة التواصلية لم يكن مختلفًا كثيرا عمّا سبق ذكره مع سوسير بالرغم من عدم قدرتنا على تأكيد التأثر به، ولكن أصبحت هذه الأطراف معروفة تقريبا في كل العلوم والفلسفات التي عالجت هذا الأمر، وقد أوردنا هذا الفهم لأوسطين إلى جنب تحليل سوسير تمهيدًا للعالم الذي أنهك هذه المسألة دراسة وتحليلا والمتمثل في رومان ياكبسون الذي تأثّر بكلّ من سوسير وأوسطين، حيث قدّم أفكاره على النحو الآتي:

2/ج)- التواصل اللغوي من المنظور رومان ياكبسون: يعدّ ياكبسون (*Roman Osipovich Jakobson*) من الأعلام الحقيقين في مجال اللسانيات ففضلا عن اطلاعه العميق عن هذا العلم من أصوله مباشرة فقد كان من الأعضاء المؤسسين للشكلانية الروسية (*Russian Formalism*) كان أيضا من المؤسسين الأساسيين لحلقة براغ اللغوية (*Prague Linguistic Circle*)، ثم كان له الشأن العظيم في تأسيس حلقة نيويورك اللغوية (*New York Linguistic Circle*)، فإنّه من حظ اللسانيين اليوم وجود هذا الرجل الجليل في هذا الميدان ومن حظ اللسانيات أن جنّدته بخبرته العميقة لشرح وتفسير وفهم أفكار كثيرة ومدّ جسور تطبيق مقولات هذا العلم على ميادين كثيرة ومختلفة في آن، فضلا عن إسهاماته الجبارة في هذا الحقل كما كان من العلماء الذين قاموا بنقل اللسانيات إلى المرحلة اللاحقة.

---

1)- L.J .Austin, Quand dire est&c faire. E du Seuil, Paris, 1979, p54

قدّم رومان ياكبسون نظرية كاملة موسعة حول التواصل اللساني بحيث وبعد مرور أزيد من نصف قرن على تطويرها مازالت معتمدة بشكل كبير في مختلف العلوم والميادين كعلوم التربية والبيداغوجية والإعلام والطب فضلا عن اللسانيات والأدب، وهذه الدورة قد لخصتها خولة الطالب الإبراهيمي في الخطاطة الآتية:[1]

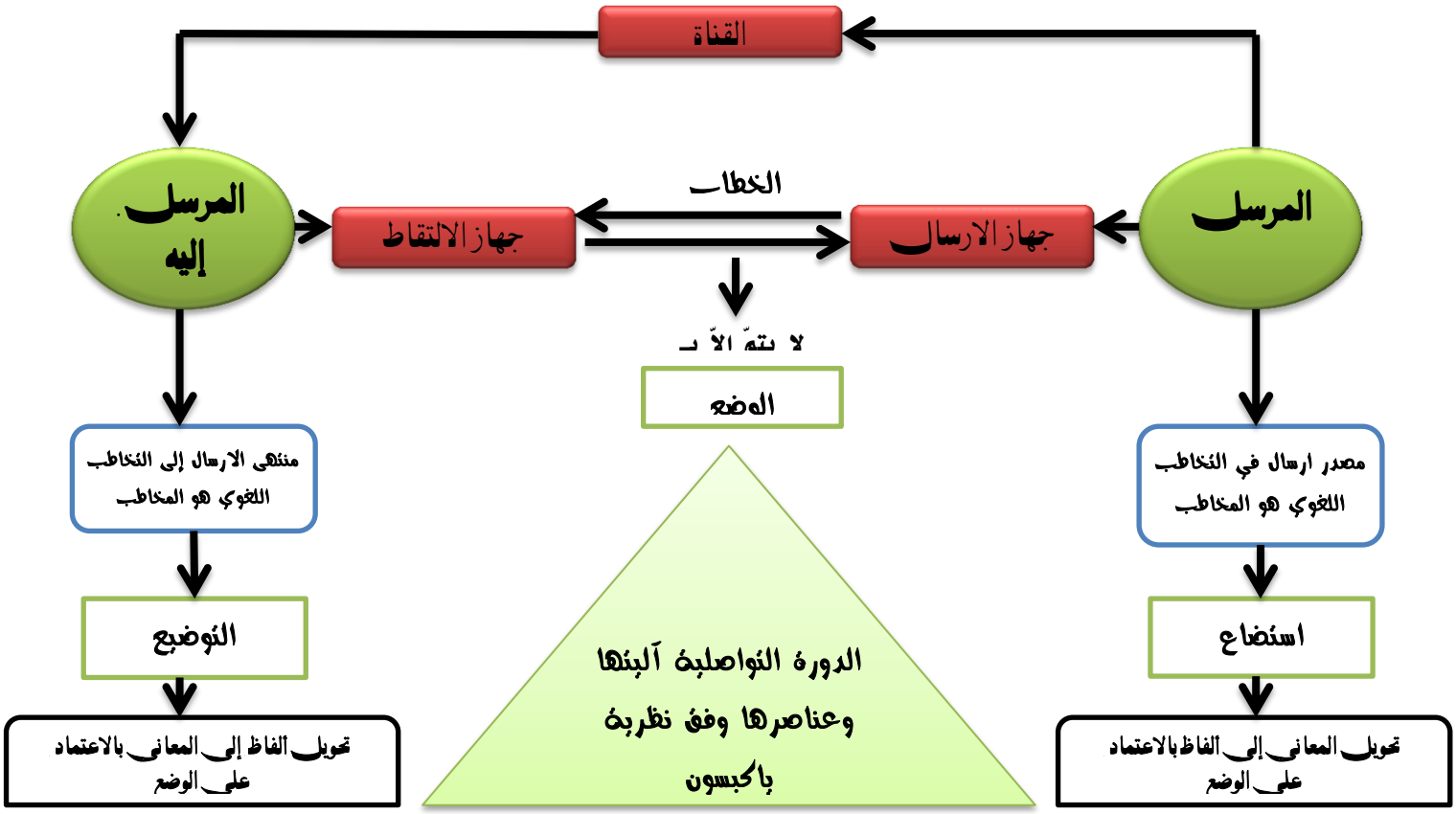

تحليل: في هذه الخطاطة التبسيطية أن الدورة التواصلية تتكون من جملة الأطراف والمفاهيم الفرعية التي تشكل في عمومها متطلبات التواصل والتي نمارسها بشكل آلي في كل نقطة من نقاط الحدث الكلامي، وهذه الأطراف هي:

2/ج-أ)- المرسل (*Destinateur*): يتحدّد المرسل تقليديًا بأنّه الطرف الذي يبادر في نشر أفكاره والإعلان عن مشاعره وانفعالاته إلى العالم الخارجي، وهو الذي يقوم بدور انتاج الكلام، ويسعى بحسب الموضوع إلى مثالية الطرح ورصانته حتى يحدث التأثير المطلوب في المستقبل، ويعمل في كلّ لحظة وبوعي شديد على اقناعه، فبعكس المستقبل يجب أن يكون المخاطب واحدًا بينما يمكن أن يتعدّد المخاطب بدءًا من شخص واحد إلى جمهور غير محدود العدد بأكمله، وعلى المخاطب أن يراعي جملة من الشروط منها ما هو مرتبط بالمستقبل كاللغة الذي

[1]- خولة طالب الإبراهيمي، **مبادئ في اللسانيات العامة**، ط1، دار هومة، 2000م . ص 47

نعبّر بها، مثلا ليس من الحكمة في شيء استعمال لغة فرنسية أو إنجليزية مع من لا يفهم غير اللغة العربية، أو ارغام غير العربي الجاهل تماما لهذه اللغة الدخول في مكالمة عربية، كما يجب تحديد واحترام مستويات اللغة المستعملة (اللغة الانطوائية والانبساطية والوسطى) وبالتالي فعلى المخاطب الحذق ضبط التعديل بناء على المرسل إليه، ومن جهة أخرى ينسجم المخاطِب مع المخاطَب في احترام نوع الخطاب (تعليمي سلطوي سياسي رومنسي حماسي نصحي) وإعطاء كلّ ذي حق حقه من الانفعال النفسي وكثافة الشحنة الدلالية، وتكييف درجة الصوت (قوي منخفض متوسط)، فكلّ هذه العوامل والعديد غيرها تسهم بشكل مباشر على مدّ جسور التواصل من انقطاعها.

2/ج-ب)- المرسل إليه (*Destinataire*): وهو المتحدّث إليه والطرف الثاني الأساس في الدورة التواصلية، ويسمى أيضا (**المستقبل**/ ***le récepteur***) إذا هو الهدف الذي وجدت من أجله الرسالة من أساسها وهذا المرسل إليه يكون على حالتين (**مباشر وغير مباشر**)، وهذا التمييز في حدّ ذاته يدين للساني الفرنسي (أورڤيوني/ ***Catherine Kerbrat-Orecchioni***) "**..الذي ميّز بين صنفين من مستقبلي المرسلة اللّامبة، وهما المرسل إليه مباشرة (*Destinataire direct*) والمرسل إليه غير المباشر (*Destinataire indirect*) فالمفارقة من خلال عنصر هام في العملية التواصلية هو المسافة أو البعد..**"[1] وبالتالي فإنّ المرسل إليه سواء كان مباشرًا أم غير مباشر يعدّ هو مستهلك الرسالة، وعادة ما يكون هذا التقسيم الإجرائي في بداية مباشرة التواصل لكنّه فيما بعد عادة ما يتحوّل المرسل إلى مرسل إليه والعكس صحيح مثلما هو واضح في هذه الخطاطة:

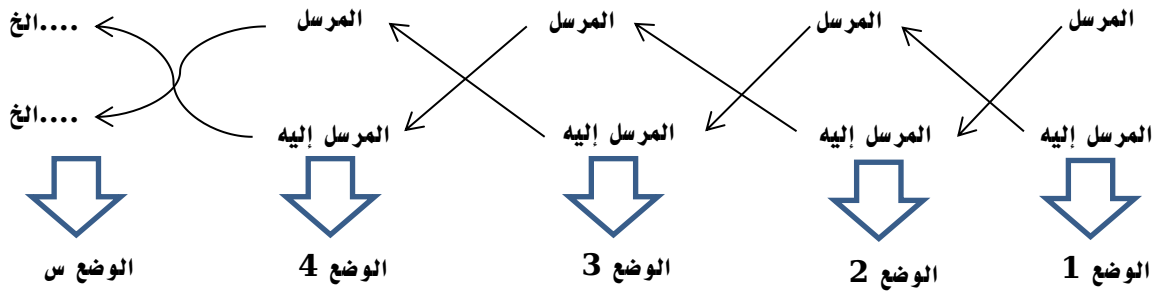

وهذه الحالة التي تدخلها اللغة بين القطبين التواصليين أثناء تناوبها تسمى الحالة التداولية لها، حيث تؤخذ وترد بالوتيرة نفسها بحسب السياق والمقام ومختلف الشروط الأخرى.

[1]- ليلى زيان، مقال "**عملية التواصل اللغوي عند رومان ياكبسون**" المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، المجلد الثاني، العدد (*01*) مارس *2016*م، رقم (*ISSN 2716-12216*) ص*93*

2/ج-ج)- الرسالة (*Message*): وهو المعنى المراد تبليغه بشرط التزام المرسل إليه بقبول التفاعل معها، أمّا من الناحية التقنية فإنّها تتحدّد بناءً على قواعد وشروط التوليف أو الوضع، وقد جاء في المعجم الموحد التعريف الآتي: **"..نُفنيا؛ بحدّد الخطاب عند منظري علم التواصل على أنّه متوالية من الإشارات المطابقة لقواعد التأليف المحدّدة برسلها مرسل إلى متلقٍ بواسطة قناة معينة.."**[1] وبالتالي فإنّ كل كلام لا يكون رسالة إلاّ إذا كانت خاضعا لشروط التأليف من جهة الاتساق والانسجام واحترام مختلف العلاقات الداخلية كالصوتية والمعجمية والدلالية والتركيبية وغيرها...

2/ج-د)- الوضع (*le code*):وهو نظام من العلاقات الداخلية لكلّ لسان من الألسن، والذي يكون عادة محترما بشكل غير واعٍ أثناء الاستعمال داخل العشيرة اللغوية المتجانسة المكتسبة بشكل تلقائي، وشعوري واع بالنسبة إلى اللغات المتعلمة أو عند الالتزام بالمستوى العالي (**الانطوائي**، فالمتحدّث مثلا بالدارجة العربية فإنّه لا يلقي بالاً إلى هذه النظم الشكلية والعلائقية للغة، ويمكن ألا يعرفها على الاطلاق بينما هي متضمنة في كلامه، ولكن إذا انتقل إلى اللغة العربية الفصيحة (كاستعمال انطوائي= اجلالي) فإنّه يدرك ويحترز بعناية شديدة لكل القواعد النحوية والصوتية والدلالية التي تحكم نظم هذه اللغة، وفي حال تجاوز لها فإنّ ذلك سيحدث اضطرابًا للمستمع ممّا يؤدي في أحايين كثيرة إلى تشويش قد يعطّل الرسالة برمتها، وفي حياتنا اليومية فإنّنا عادة ما نعبّر عن هذه الوضعية غير الطبيعية بعبارة "**لم أفهم!**" "***je n'ai pas compris!***" "***I do not understand!***" وفي الحقيقة عرف هذا العنصر تعدّدًا اصطلاحيًا بين العلماء المنظرين؛ فسوسير أطلق عليه مصطلح (**اللسان**) ويلمسلايف (**النظام**) وتشومسكي (**الملكة**) والحاج صالح نقلا عن علماء العرب القدامى مصطلح (**الوضع**) وعندما انتهت جميعًا إلى ياكبسون استعمل مصطلحًا تقنيا سماه (**القانون/الناموس/ السنن**-***le code***)[2] وهو يمثّل القواعد المنظمة للقيم الاخبارية والهرم التسلسلي أثناء توجيه الرسالة.

2/ج-هـ)- المرجع (*le référant*): ويسمى أيضا "**السياق**/***le contexte***" وهو بمعمول هذا الاصطلاح المعيار الذي يتحكّم في تفسير الرسالة وفكّ شفرتها (*le Décodage*) ويمكن النظر إليه من جهتين (**داخلي لغوي/ خارجي غير لغوي**)، (***Linguistique/ Extra linguistique***)، فأمّا الأوّل فإنّه يبحث في علاقة الوحدات اللغوية بمختلف مستوياتها ويكون فهمها وتفسيرها وفقًا لموقعها التركيبي النظْمي في السلاسل

---

[1]- جماعة من المؤلفين، **المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات**. ص91

[2]- ليلى زيان، مقال "**عملية التواصل اللغوي عند رومان ياكبسون**" ص94

الكلامية، وبناءً على ترتيبها وتقديمها وتأخيرها والسياق الموضوعي العام والفكرة الأساسية..الخ، أمّا الثاني فإنّه غير لغوي كالمقام ومختلف الملابسات والظروف التي تتحكم على الرسالة، فتوجّهها توجيها خاصًا قد لا تعبّر عنه الكلمات لوحدها؛ لأنّ هذه الأخيرة لها سياق زماني ومكاني وجوانب نفسية واجتماعية وغيرها، وبالتالي فإنّ هذا العنصر يعمل كضابط للمعاني بشكل أدقّ.

2/ج-و)- القناة (*le Canal*): القناة ببساطة شديدة هي الممر الذي تسلكه الرسالة إلى المخاطَب وتأخذ مجموعة من التمظهرات أو التجليات؛ فقد تكون عبارة عن ذبذبات صوتية في حالة **التواصل الشفوي** في صورة تموجات تنتقل نتيجة لاصطدام ذرات الهواء بعضها ببعض من المتحدث إلى المستمع، وفق درجة ما، وتكشف لنا الدراسات التشريحية أن طبقة الصوت (التردّد) التي تلتقطها الأذن الشرية يجب ألاّ يقلّ عن (*20* هرتز) وألاّ يتجاوز (*20.000*هرتز) عكس بعض الحيوانات الأخرى التي لها حساسية أكثر تجاه الأصوات الخافتة، أو التي لها قدرة تحمّل أكثر من البشر في الأصوات الصاخبة، وعلى كلّ حال أشارت الدراسات أنّ معدّل الأصوات التي نلتقطها يوميا تتراوح بين (*250-300* هرتز) كحالة معتدلة، أمّا إذا كان **التواصل معتمدًا على العين** تحوّلت القناة إلى قناة بصرية؛ وقد لاحظ عالم البصريات الكولومبي (**سيليج هشت**/ ***Silig Hecht***) أنّ القياس المناسب للعتبة المطلقة (***Absolute Threshold***) للرؤية هو أقلّ عدد من الفوتونات التي يجب أن تضرب شبكية العين من أجل استثارة الوعي الإدراكي،[1] وبالتالي فإنّ الشرط الأول للتواصل البصري هو قرب المسافة مناسبة الضوء، بحيث تعجز العين البشرية على الرؤية لمسافات طويلة أو في الظلام الدامس عكس كلّ الحيوانات تقريبا، ومن خلال هذه الأمثلة يمكن أن نقول إنّ القناة "**..قد تكون مادية او نفسية تسهل عملية انتقال الرسالة؛ لأنّها قد تتعرّض لبعض الموانع والتشوهات تتجة للخلل الذي قد يصيبها.. مثل الكآبة غير الواضحة، أو الظروف المناخية غير المناسبة. والجدير بالذكر هو أنّ القناة الفعالة في تبليغ الرسالة هي كلّ قناة ذات مساحة فصيرة تربط بين عدد من المتواصلين، ولا تعتمد على عدد كبير من نقاط الاتصال..**"[2] وبالنظر إلى مستحدثات العصر فإنّنا يمكن اعتبار كل الوسائل التكنولوجية أدوات للاتصال كالهاتف والوسائل السمعية البصرية ووسائل التواصل

---

[1]- لمزيد من التحصيل والتوسيع يرجى العودة إلى الموقع الآتي: ***http://ibelieveinsci.com/?p=2518***

[2]- ينظر الموقع الآتي: **اللسانيات، اللغة، التواصل، التفاعل، المجتمع**، بتاريخ؛ الإثنين *13* أغسطس *2012*م، ***http://brahmiblogspotcom.blogspot.com/2012/08/blog-post_13.html***

الاجتماعية بمختلف أنواعها، والوسائل التقليدية مثل: الكتب والجرائد والمجلات والإشارات المرورية وإشارات الصم البكم والأيقونات التحذيرية ..الخ، وكلّها تخضع لقوانين وشروط القنوات الاتصالية الشفوية والبصرية.

إنّ هذا البعد التحليلي الذي أعطاه ياكبسون للدورة التواصلية بناء على ما استلهمه من أعمال سوسير وأوسطين والذي بحق حلّ جملة من المشاكل التقنية في فهم الدورة الطبيعية للغة بين الأفراد، لم يتوقف عند هذا الحدّ بل ساعده في بلورة فهم واستنتاج مختلف الوظائف التي يقوم بها اللسان، وفيما يلي تفصيل لذلك:

ثالثا: اللسانيات ووظائف اللسان *Funktionen der Sprache*: كانت الإشارات السديدة التي تتضمن ربط اللغة مباشرة بوظيفتها الأساسية، والتي هي التواصل أوّلا وقبل كلّ شيء، تمهيدًا قويا جدًّا لبناء تصوّرات مختلفة نجمت عن انتقال هذا المبدأ إلى العلوم المتاخمة للسانيات على نحو ما نجده في التصوّر السردي والتداولي والمنطقي والفلسفي والثقافي والنفسي والتربوي والسيميائي والأنثروبولوجي، ويرى حمدي جميل بأنّ اعتماد الوظيفة في تحليل اللغة قد نجم عنه تطوير أبحاث عظيمة في اللسانيات وفي علوم أخرى على النحو الذي نجده مع ".. **كارل بوهلر(Bühler)، وكارل بوبر(Karl Popper)، ومالينوفسكي (Malinowski)، ورومان جاكبسون(Jakobson) ، وبريتون(Britton) ، وموريس (Morris)، وهاليداي(Halliday) ورولان بارث (R.Barthes) ، ودوكرو (Ducrot) ، وغيرهم..."**[1] وكلّ هذه المجهودات أصبحت الأساس في دراسة التواصل وتحليليه وترتيب عناصر وتبويب مفاهيمه في الحقول التي تنتمي إليها، أمّا في اللسانيات بشكل خاص فإنّ أهم تطوير على الطرح السوسيري هو الذي تشكّل على أيدي علماء حلقة براغ اللغوية، حيث استلهموا مفهوم الوظيفة بشكل أكثر علمية مما هو الحال عند غيرهم وبالتالي فإنّ البراغيين قد اعتمدوا في تصنيف الأحداث اللغوية على مفهوم الوظيفة "**..ولا يفهم أعضاء هذه المجموعة الوظيفة *funktion* بالمعنى الرياضي للعلاقة بين الدوال والكيانات *funktiven* على نحو ما استعمل بلمسلايف هذا المفهوم، بل بالمعنى اللغوي العادي له حيث إنّ الوظيفة تعني المهمة.."**[2] كما يعلّق مصطفى غلفان مؤكدًا على أنّ مفهوم (**الوظيفة**) لم يكن مسألة مشتغل عليها على النحو التاريخي، وليس حتى من ابتكار حلقة براغ أنفسهم"**..بل هو تيار عام تخلّل العقد الأوّل والثاني من القرن العشرين، وجد في أوروبا كما في أمريكا وسعى فيه أصحابه**

---

[1]- جميل حمداوي، **التواصل اللساني والسيميائي والتربوي**، ط1، مكتبة المثقف، المغرب: 2015م، ص 43 وما بعدها

[2]- بريجيه بارتشت، **مناهج علم اللغة من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي**. ص118 بتصرف

إلى ما أسماه ياكبسون تحقيق نموذج لوسائل اللغة وغاياتها من مبدإ متعارف عليه ومقبول كلّيًا وهو أنّ اللغة وسيلة تواصل وفكر.. "[1] ونحن نوافق غلفان على عدم نسبة ابتكار مفهوم الوظيفة إلى حلقة براغ، وأكثر من ذلك فإنّنا لا نستطيع حتى أن ننسبها لسوسير نفسه لأنّنا نجد بعض الإشارات في أعمال همبولدت ودي كورتناي في أوروبا وويليام وايتني في اللسانيات الأمريكية، ولكن حلقة براغ أعطته بعدًا علميا أكثر عمقا وفي إطار نظرية لسانية كاملة على أيدي هم، يقول غلفان **"..وقد جاء تأكيد حلقة براغ على دور الوظيفة وأهميتها في التواصل اللغوي من جهة وفي التحليل اللساني في المستويات اللغوية كافة، من جهة ثانية في الأطروحة الثالثة التي تمحورت حول والوظائف اللغوية وفيها تمّ التأكيد على أنّ طبيعة الوظائف اللغوية هي التي تحدّد بنية لسان معيّن صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا.."**[2]، وبالتالي فإنّ المادة العلمية التي توفّرت عند ياكبسون مجموعة من الأعمال المتعلّقة بالوظيفة مثل (**فلاديمير بروب، إميل بنفنست، سوسير**) والفيلسوف الألماني **كارل بوهلر** الذي ميّز بين ثلاثة أنواع من الوظائف هي:[3]

- **الوظيفة التمثيلية** (*Darstellung*)
- **الوظيفة التعبيرية** (*Ausdruck*)
- **الوظيفة الندائية** (*Spreechact*)

ومن هذه المادة العلمية المجرّب على مواد لغوية ونقدية واسعة وبناء على نظرية الدائرة التواصلية (*Théorie de la communication*) التي ابتكرها ياكبسون والتي دعّمها فيما بعد بالتطوّرات التي استحدثت حتى بعد النصف الثاني من القرن الماضي، وعلى كلّ حال فإنّ عدد الوظائف اللغوية التي استوحاها ياكبسون محصورة في ست وظائف أساسية نذكرها موجزة على النحو الآتي:

---

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية؛ منهجيات واتجاهات**. ص224

[2]- المرجع السابق، ص224

[3]- المرجع السابق، ص229

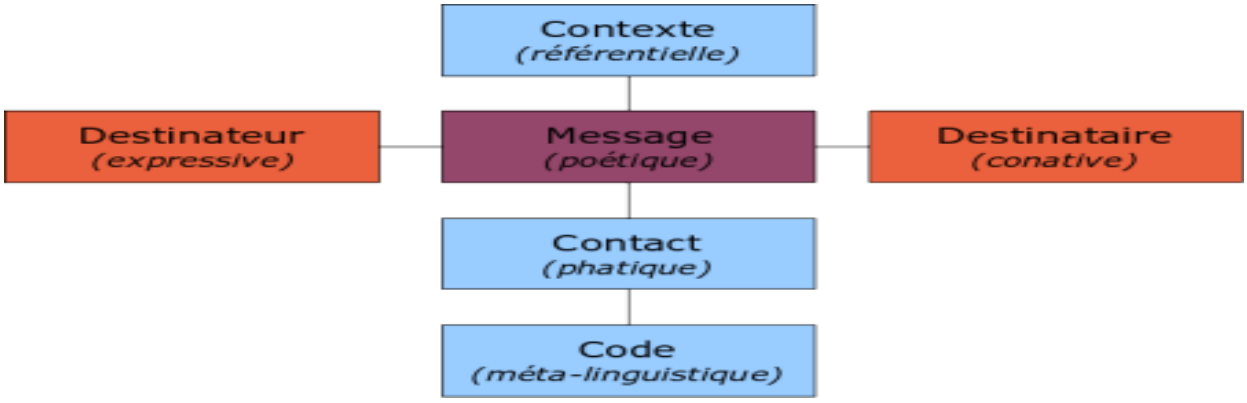

3/أ- الوظيفة الابلاغية (*Fonction expressive*): يتمكن الإنسان من خلال استخدامه للغة التي يتعامل بها من التعبير عن أفكاره وأحاسيسه ومشاعره وما يختلج في نفسه، فهي باختصار تستخدم للتعبير عن حاجات الفرد والمجتمع المختلفة، ومن خلال اللغة يقوم المتكلم أو المُرْسِل بالتعبير عمّا يريده من خلال الأصوات والإشارات والحركات الإيمائية التي تسمح بها اللغة المستخدمة، أي استخدام أسلوب التّعبير المباشر لطرح الحقيقة أو التعبير عنها بشكل مجازي، وهو يعبر بذات الوقت عن شخصيَّته من خلال الحيويَّة التي يستخدم فيها المفردات اللغويَّة.

3/ب- الوظيفة التأثيرية (*Fonction conative*): وترتبط مباشرة بالمستقبل الذي تستخدم فيه أساليب وأدوات لغوية معينة، كأسلوب الأمر أو النداء وغيرها من الأساليب اللغوية المتعارف عليها، يمكن من خلال ذلك التأثير على تصرفات الآخرين، المستمع أو المُرْسَل إليه، وعلى طريقة اختيارهم للأفكار أو المواقف المطلوب التوصل إليها.

3/ج- الوظيفة المرجعية (*Fonction référentielle*): وهي الوظيفة التي ترتبط بشكل مباشر مع عالم الموجودات المادية (العينية) التي تكون محور الرسالة أو الخطاب، ويقدّم غلفان مثلا على ذلك في متن هذه الرسالة: البلدية جيدة، السماء صافية، الجو ممطر، اللعبة غالية الثمن...[1] حيث نلاحظ في هذه الأمثلة أنّ الرسالة الكلامية تمحورت على موجودات عينية.

3/د- الوظيفة اللاغية (*Fonction phatique*): وهي التي يعتمدها المرسل على شدّ الانتباه، وقد جاءت في معجم (لاروس)[2] بمعنى أنّها وظيفة من وظائف اللغة ولكن ليس من مهامها التواصل وإنّما الحفاظ على الدورة التواصلية وشدّ انتباه المتكلم للمخاطب، وهذه الوظيفة في الحقيقة نقوم بتوظيفها في حياتنا اليومية على النحو الذي نستعمله في رسائل التواصل الاجتماعي أثناء الكتاب فنقول "هل أنت معي.. هل تلقيت رسالتي الأخيرة.. هل

---

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية؛ منهجيات واتجاهات**. ص231

[2]) - voire le site suivant ; http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/phatique/60166

فهمت قصدي.. أين أنت.. هل أنت هنا، أو عبر المكالمة الهاتفية عندما نستعمل عبارات من نوع: هل تسمعني جيدًا؟ نعم بالتأكيد، ولكنّك تقول (..) أنا أعرف جيدًا ما تقول.. اسمع.. –هل فهمت ما أقول إلخ..[1] أو مثلا في الحصة الدراسية حين يسأل الأستاذ قائلا: هل فهمتم، هل استوعبتهم حديثي هذا.. إلى غيرها من السياقات الكلامية التي توظف فيها هذه الطريقة لإعادة المخاطب إلى التفاعل الكلامي والتواصل معه.

3/هـ- الوظيفة الواصفة (***Fonction métalinguistique***): وسمّاها المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (فوق لغوي)؛ حيث عرّفها على النحو الآتي: **"..من وظائف اللغة يأخذ المتكلم بموجبها السنن يستعمله كموضوع للوصف وموضوع لخطابه.."**[2] والمقصود بذلك عندما تتحدّث اللغة نفسها عن نفسها فتكون أداة للتواصل وفي الوقت نفسه موضوعا للخطاب ***métalangage***، فعندما نتكلم عن مصطلحات اللسانيات أو الصرف أو النحو فنقول في الأوّل: النظام في اللغة هو الكلّ المتعاضد، أو في الثاني الصرف هو علم المعاني بناءً على المعاني، وفي الأخير (أضارب الزيدان) الهمزة أداة استفهام ضارب مبتدأ مرفوع وعلامة رفع الضمة الظاهرة على آخره والزيدان فاعل سدّ مسد الخبر مرفوع وعلامة الرفع الألف لأنه مثنى، فهذه المضامين التي نقلت باللغة العربية هي مضامين تختلف تماما عن المضامين التي نستعملها في الممارسات الكلامية اليومية، حتى إنّ المستقبل الذي لم يتدرب على اكتساب هذه المعرفة فإنّه سيحكم عليه أنّه كلام عربي على العربية بما ليس في العربية وبالتالي تتعطل هذه الرسالة تماما.

3/و- الوظيفة الشعرية (***Fonction poétique***): وهي أيضا وظيفة ترتبط رأسًا بالإرسالية نفسها وفي المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات عرفها على النحو الآتي: **"..عند بالكبسون دراسة تعني بوظيفة اللغة بصفتها عملا فنّيا إبداعيًا.."**[3] فهي اللغة التي تستعمل لتلبية حاجات إبداعية إنشائية توصف بالجمال والبلاغة وحسن اختيار الكلمة والتركيب، وتكون عادة في النصوص النثرية كالرواية والخطب والقصص، أو في الشعر والكلام المنمق.

خاتمة: استطاعت اللسانيات بأن تصل إلى اكتشاف هذه المقولات العلمية المرتبطة باللسان من خلال التحليل البنوي والوصفي الذي حدّدته كمعيار للتعامل مع الدرس اللغوي، كما نجحت اللسانيات السوسيرية في الصمود

---

1)- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية؛ منهجيات واتجاهات**. ص*231* –بتصرف–

2)- جماعة من المؤلفين، **المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات**. ص*92*

3)- المصدر السابق، ص*115*

أمام مختلف النظريات والتطوّرات التي عرضت مقولاته إلى محك الاختبار، وهنا بدأت اللسانيات ترتبط أكثر فأكثر بالفروع الأخرى من التحليل الأدبي والفلسفي وغيرها، ومن أهم المبادئ الإبستمولوجية التي أصبحت الناموس الذي يحكم صحة النظرية أو العلم هو قدرة النظرية على توليد نظريات أخرى وإقامة علوم أخرى، ومن خلال هذه المحاضرة لاحظنا بأنّ كلّ من خصائص اللسان وضبط عملية التواصل واستنتاج الوظائف اللغوية كلها كانت نتيجة مباشرة على التحديد العلمي المنهجي الصارم للسان.